التمهيد

أ- مفهوم الوطنية:

الوطنية كما يعرفها أحد الدارسين (روح تتمثل في حب الوطن، والافتتان به، والعمل له، والذود عنه، والحفاظ عليه، تسري في النفوس فتحبب إليها البذل والفداء، والتضحية والإيثار، وترتفع بها إلى مصاف الأبرار، ومراتب الأبطال، حين يحز الوطن الضر، ويحيق به الشر، فتسترخص الدم الزكي يروي ثراه الحبيب، وتستعذب الشهادة رضية قريرة العين في غير من ولاخيلاء)[2].

والوطنية بهذا المفهوم من العواطف النبيلة السامية التي تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية ولا تتعارض معها. فالرسول الكريم - علية الصلاة والسلام - يمم وجهه شطر مكة المكرمة عندما أخرجه قومه منها، ويخاطبها قائلاً: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت»[3].

وقد تعددت تعريفات الوطن في العصر الحديث، فهناك من قصره على المكان الذي يتخذه الإنسان سكناً، وينتمي إليه جغرافياً وسياسياً. وأكثر ما يتجلى ذلك في تعريف الشيخ محمد عبده له في مقاله المنشور في الوقائع المصرية في (28 نوفمبر 1988م) حيث يقول: (الوطن في اللغة محل الإنسان مطلقاً، فهو السكن

بمعنى: استوطن القوم هذه الأرض وتوطنوها: أي اتخذوها سكناً. وهو عند أهل السياسة مكانك الذي تنسب إليه، ويحفظ حقوقك فيه، ويعلم حقه، وتأمن فيه على نفسك، وآلك و مالك، ومن أقوالهم فيه: لا وطن إلا مع الحرية ....)[4].

ولا يختلف تعريف الدكتور محمد الصادق عفيفي للوطن عن سابقه في شيء، فالوطن عنده (الكيان الجغرافي و القومي والسياسي الذي يولد فيه شعب ويتخذه مستقراً له، يجتمع تحت رايته، وتربط أبناءه جملة من التقاليد والعواطف والأهواء المشتركة)[5].

في حين يتسع مفهوم الوطن عند الدكتورة عزيزة مريدن، ليشمل - إلى جانب المكان الذي يستقر فيه الإنسان و إليه ينتمي - الوطن العربي والإسلامي بعامة. يظهر ذلك في قولها: (الوطن هو الأرض الذي ننتمي إليها، ونعيش على صعيدها مع مجموعة من البشر، تترابط فيما بينها بروابط الجنس أو العقيدة أو غير ذلك من الروابط الإنسانية. والوطن قد يقتصر في مدلوله على مساحة صغيرة، كالبلدة التي يولد على أرضها الإنسان، وقد يتعدى ذلك إلى الإقليم أو الدولة أو إلى أكثر من ذلك كالدولة الإسلامية أو العربية أو الشرقية)[6].

وبناء على هذا المفهوم (يكون الشعر الوطني هو ذلك الشعر الذي يعبر عن عاطفة الانتماء إلى الأرض سواء أكانت هذه الأرض

إقليماً له حدوده السياسية الخاصة -كالمملكة -أم كانت وطناً عاماً كالوطن العربي والإسلامي)[7].

وشعر إبراهيم خليل علاف الوطني حافل بالعديد من القصائد التي تجاوز فيها محيطه الاجتماعي والسياسي إلى الوطن العربي و الإسلامي بعامة(*) إلاَّ أنني أعني بالوطنية في دراستي هذه، ذلك اللون من الشعر الذي حمل في حناياه حب الشاعر إبراهيم علاف لوطنه الإقليمي -المملكة العربية السعودية -وجسد سعيه الجاد في تقدمه وازدهاره والمحافظة عليه، وإعجابه بإنجازاته، وتغنيه بمدنه ومظاهر الجمال فيه.

ب- نبذة مختصرة عن الشاعر.

هو إبراهيم خليل صالح العلاف. ولد بمكة المكرمة غرة محرم عام 1350هـ، وفيها نشأ وأتم تعليمه الابتدائي والثانوي، ثم ابتعث إلى مصر ليواصل تعليمه الجامعي، فالتحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام 1369هـ، وتخرج فيها عام 1372هـ .

تنقل في حياته العملية في مواقع عدة، بدأها مدرساً في المعهد العلمي السعودي التابع لوزارة المعارف، حتى أصبح وكيلاً للمعهد نفسه، ثم مفتشاً فنياً للمدارس الابتدائية والثانوية لمدة عامين، تجوَّل خلالها على المناطق التعليمية في الحجاز، وعسير، ونجد. ثم انتقل عملة إلى وزارة الإعلام، وعمل بها كأول مدير

لإدارة الأخبار لمدة عامين، وتولى - بالإضافة إلى ذلك -الإشراف على إدارة الصحافة والنشر، ثم عمل مديراً للمكتبة العامة للإذاعة. ثم ما لبث أن انتقل عمله إلى وزارة الحج والأوقاف مديراً لمكتباتها في كل من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف. وتدرج في عدة مناصب في هذه الوزارة حتى أصبح مديراً لمصنع كسوة الكعبة المشرفة. ثم انتقل بعد ذلك إلى رابطة العالم الإسلامي وعمل بها لمدة عامين مشرفاً على مكتبتها وعلى مجلة رسالة المسجد وبحوث السيرة النبوية للقرن الخامس عشر الهجري. وبعد حياة حافلة بالعطاء ترك شاعرنا العمل، نظراً لظروفه الصحية، وتفرغ لأعماله الخاصة، وللثقافة ومتابعة شؤونها[8].

تعلق إبراهيم خليل علاف بالشعر منذ وقت مبكر من حياته، فانصرف لقراءة دواوين الشعراء القدماء -، ويعلل لذلك بقوله: (وما كان اتجاهي لقراءة الشعر القديم في أول عهدي مقصوداً وإنما هو أولاً من آثار المصادفة، وثانياً لأن دواوين الشعر الحديث لم تكن في ذلك الوقت تصل إلى المكتبات في الحجاز .....، وأثناء دراستي الجامعية اطلعت على دواوين شوقي، وحافظ، والبارودي، ومحمود غنيم، وعلي محمود طه، و إيليا أبي ماضي، ومحمد الأسمر، ومحمود عماد، وسواهم، كما اطلعت على المذاهب الأدبية الحديثة وتابعت اتجاهاتها والتعرف على حقائقها ..)[9].

أصدر خمسة دواوين شعرية، وهي حسب تاريخ صدورها: (وهج الشباب)، ثم (أشواق وآهات)، ثم (الإنسان)، ثم (جلنار)، وآخرها (أعماق و آفاق) ضمها فيما بعد في مجلد واحد، وأطلق عليه (المجموعة الكاملة).

أشاد بشعره وشاعريته الدكتور جمال الدين الرمادي حيث يقول بعد أن اطلع على ديوانه الإنسان: (وهكذا كان الشاعر العلاف يصور الانطلاقة الجديدة في الشباب السعودي المثقف، والدفقة القوية في الفكر السعودي الحديث، ويقف شاعراً رقيق الأسلوب، عذب العبارة سائغ اللفظ، ليس فيه إغراق المحدثين في المعاني المستغلقة المبهمة، والخيالات المريضة الآثمة، والأوزان المضطربة المتأرجحة، وليس فيها تقعر القدماء في اللفظ، و إيغالهم في الإبهام و اختيارهم للحوشي من اللفظ، والغريب من العبارة، و إن كان مطلعاً على آثار الأقدمين متأثراً بأساليب الجاهليين والعباسيين والأندلسيين ورقة العذريين وعذوبة المحدثين)[10].

ترجم له الدكتور إبراهيم الفوزان، وعده من الشعراء المجددين في الحجاز[11].

في حين جعله الدكتور عبد الله الحامد في عداد الشعراء المخضرمين، الذين زاوجوا في شعرهم بين القديم و الجديد، و هؤلاء الشعراء (... لهم من الشعر المحافظ قدر من شعر المناسبات

والمديح، والديباجة الصافية، والأسلوب القديم، ولهم من الجديد تنوع في الموضوعات والتحام بقضايا الأمة، وطرق لموضوعات الشعر الاجتماعي والوصف، وتأثر غير عميق ولا كثير بشعراء التجديد، كالشابي، وناجي، والأخطل، وغيرهم)[12].

obeikandl.com